تركُ الحرام

قال الله تعالى في أواخر سورة الأنعام: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥١- ١٥٢].

تُسمَّى هذه الآية بآية الوصايا العشر، وهي وصايا قَامت عليها الشرائعُ السماوية، وبها سعادةُ البشرية.

وقال الله تعالى: ﴿**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٠]، قال المفسرون: ظاهرُ الإثم: الذنبُ الذي تفعله الجوارح، كالضرب والسب والسرقة والزنا، وباطنُ الإثم: الذنبُ الذي يفعله القلب، كالحسد ونية السوء ونحوهما.

أيها الإخوة:

هل تعلمون الفارق بين الملتزم بشريعة الله، وغير الملتزم؟

إنه الحلالُ والحرام.

إن المسلم يُحلِّل ويُحرِّم وِفْقَ ما أمر الله، أما غيرُ المسلم فلا يعلم الحلالَ من الحرام.

إن المؤمنَ عبدٌ لربه، يفعل ما أخبره الله أنه حلال، ويدع ما أخبره اللهُ أنه حرام، فتراه حراً في عبوديَّته.

وإن غيرَ المؤمن يفعل ما يُمْلِيه عليه هواه وشهوته، ويدَّعي أنه حرٌّ ليس لأحدٍ عليه سلطان، فتراه عبداً في حريته، عبداً للمال، عبداً للمرأة، عبداً للجسد، عبداً لشهوته وغرائزه، وتَعِسَ عبدُ الدرهم، وتَعِسَ عبدُ الخميصة[1].

١- حديث: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إذا أُعطي رضي، وإذا مُنِع سَخِط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش...»، أخرجه الطبراني في "الأوسط" برقم (٢٥٩٥)، والبيهقي في "شعب الإيمان" برقم (٤٢٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وبَين يَديَّ أرقامٌ بَسيطة تُظْهِر أَثَرَ وفائدةَ عبودية المسلمَ لربه، وأثرَ حُرّيةِ الإنسان غير المسلم -كما يَدعون-؛ ففي البلاد التي تَدَّعِي الحرية -وآخُذُ مثالاً عليها الولايات المتحدة الأمريكية- نشاهدُ ما يلي:

١- مليونُ طفل يُعتَدى عليهم سنوياً، ويُعتبَر الاعتداء الوحشي على الأطفال السبب الثاني للوفيات في أمريكا، وثاني سبب أيضاً في دخول المستشفيات، فكم طفلاً يُعتدى عليهم بين المسلمين؟ إن الأرقام لا تُذْكَر لندرتها وقلَّتها -والحمد لله-.

٢- إن (٢١.٥) مليون فتاة وفتى يشربون الخمرَ، وإن (١٣) مليون شاب يتعاطون الماريجوانا -أي الحشيش-، فكم هو عدد المسلمين الذين يتناولون هذه المحرَّمات؟ إن الرقم لا يُقارَن ألبتة مع هذه الملايين.

٣- إن مليون ونصف المليون فتاة مراهقة عندهم تحمل من السفاح (الزنا)، تَلِدُ نصفُهن، وتُجْهِضُ الباقيات، وهذا الرَّقم يَكاد يَكون مَعدوماً عند المسلمينَ -والحمد لله-.

٤- تَحدثُ كل أربع ثوان جريمةٌ في أمريكا، فأين هذه الجرائم في بلاد المسلمين؟.

هذه بعضُ أرقامهم التي تشير إلى حرّيتهم المزعومة، بينما تختفي أمثالُها عند المسلمين، عبادِ الرحمن.

أيها المؤمنون:

إن أولَّ ما يُمَيزُ العبدَ هو ترك ما نهى عنه سيدُه، لذلك جاءت الآية الكريمة: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ**﴾ [الأنعام: ١٥١] وجاءت الآية: ﴿**وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَه**﴾ [الأنعام: ١٢٠].

ولذلك كانت أولُ شهادةٍ في الإسلام: (لا إله إلا الله). قال العلماء: أولُها نفيٌ، وآخرُها إثبات، أولها تركٌ، وآخرها إقرار، أولها (لا إله) نفي، وتركُ كل إله، وآخرها (إلا الله) إثباتٌ وإقرار للألوهية له وحدَه لا شريك له.

ولذلك كانت شريعةُ الإسلام تَخْلِيَةً، ثم تَحْلِيَة:

أولاً **تخلية**: من العقائد الباطلة، والأفعال المحرمة، والأخلاق المرذولة.

ثانياً: **تحلية**: بالعقيدة الصحيحة، والشريعة القَوِيمة، والأخلاق الفاضلة.

ولا يَستقيمُ لمسلمٍ أن يُصليَ ويَأكلَ الحرام، لا يَستوي لمسلمٍ أن يَصومَ ويَنْظُرَ إلى الحرام، ولا يَجتمعُ إيمانٌ ومَعصية، ولا يَتَّفِقُ إسلامٌ وكبيرة، فلا بدَّ مِن ترك الحرام.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن**»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها**»[3].

ولذلك صَنَّف عُلماءُ الإسلام كُتباً في المحرمات؛ حَتَّى لا يَقعَ المسلمُ في شيءٍ منها، سواءٌ كانت محرماتٍ في الطعامِ، أو في الشرابِ، أو في الأموالِ، أو في الأعراضِ، أو في الأنفُس.

ولعلَّ أشهر كتابٍ في هذا الباب يعرفه كل مسلمٍ -أو قُلْ: معظم المسلمين- هو كتابُ(الكبائر) لمؤرخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، الدمشقي، المولود والمتوفى في دمشق، والمدفونُ في مقبرة الباب الصغير.

قال في مقدمة كتابه: (هذا كتابٌ مُشتملٌ على ذكر جُمَلٍ في الكبائر والمحرمات والمنهيات، وقد ضَمِن اللهُ تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائرَ والمحرمات أن كُفِّر عنه الصغائر مِن السيئات، لقول الله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء: ٣١].

ثم راح الشيخُ الذهبي يُعِدِّدُ المحرماتِ والكبائر، ويَشرحُها، كالشرك بالله، وقتلِ النفس، والسحر، واللواط، والربا، وأكل مال اليتيم، والسرقة، والزنا، والفرار من الزحف، ونحوَها... حتى عدَّ سبعين كبيرة.

لكلِّ هذا -أيها الإخوة- كان على المسلم -في أول ما يَنبغي عليه- أن يَترُكَ الحرامَ، كان على المسلم أن يَكون شعارُه: (أما الحرامُ فالممات دُونَه) مُتأسِّياً بسيدنا يوسف عليه السلام: (إذ عُرِضَ عليه الحرام كما تقرؤون في سورة يوسف) فقال: ﴿**مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُون**﴾ [يوسف: ٢٣] فلما ترك الحرامَ عوَّضه الله خيراً منه، ومَن ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

١- أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٤٧٥)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٥٧)، وأحمد في "مسنده" برقم (٨٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢- أخرجه الحاكم في "مستدركه" برقم (٧١١٤)، والطبراني في "المعجم الكبير" برقم (١٨٠٣٥)، والبيهقي في "السنن الكبرى" برقم (١٩٥٠٩) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه. قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح.

قال أُبَيّ بن كعب ﷺ: (ما من عبد ترك شيئاً لله عز وجل إلا أبدله الله عز وجل ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، وما تهاون به عبد فأخذه من حيث لا يصلح إلا آتاه الله عز وجل بما هو أشد عليه منه من حيث لا يحتسب).

وأختُمُ الخطبة بقصةٍ فحواها: أن مَن تَرك الحرام عَوَّضه الله خيراً مِنه من الحلال،

وأَنَّ تركَ الحرام سمةُ المسلم.

تَجِدْ القصة في كتاب: "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" في ترجمة الشيخ إبراهيم الهلالي، تقول القصة: (إن الشيخ إبراهيمَ الهلالي الحلبي ذهب إلى الجامع الأزهر يطلب العلم، وفي أثناء طلبه للعلم أَمْلَقَ وافتقر إلى النفقة، ومضى عليه أكثرُ من يومٍ وهو لا يجد ما يأكل، وجاع جوعاً شديداً، فخرج من غرفته في الأزهر يمشي في الطرقات هائماً، فشاهد باباً مفتوحاً، وشمَّ منه رائحةَ الطعام الزكية، فدخل الباب إلى المطبخ، فلم يجد أحداً، ووجد الطعام، فأخذ الملعقة وغمسها فيه، ثم لما رفعها إلى فيه انقبضت نفسه عن تناولها؛ إذ لم يُؤذَن له بتناولها، وهي ليست له، وهي حرام، فتركها وخرج بجوعه وسَغَبه إلى غرفته في رواق الأزهر. ولم تمضِ عليه نحو ساعة إلا وأحدُ شيوخه، ومعه رجلٌ يدخلان عليه غرفته، ويقول له الشيخ: هذا الرجلُ الفاضل جاءني يريد طالبَ علمٍ صالحاً، أختارُهُ لابنته زوجاً، وقد اخترتُك له، فقم بنا إلى بيته ليَتِمَّ العقدُ بينكما، وتكونَ من أهل بيته. فتحاملَ الشيخُ إبراهيم على نفسه ممتثلاً أمرَ شيخه، وقام معهما، وإذ هما يذهبان به إلى البيت الذي دخله، وغمس الملعقة في طعامه، ولما جلس عَقَدَ له والدُها، وبادر بالطعام، فكان الطعامُ الذي غمس الملعقة فيه ثم تركها، فأكل منه قائلاً في نفسه: امتنعت عنه لأنه حرام، فأطعمنيه الله حلالاً مع العزة والكرامة).

وصدق القائل: (ما قُدِّرَ لِماضِغَيْكَ أن يَمضَغَاهُ لا بُدَّ أن يَمضَغاه، فَوَيحَك، كُلْهُ بعزٍّ ولا تأكله بذلٍّ).

والحمد لله رب العالمين

* * *